سوء استخدام اليسر المالي وراءه، ودور الأمّ أساسي

غياب دور الأب

وراء انحراف 50% من الأولاد!

إنجازات الباحثة الاجتماعية إيمان إسماعيل عبد الله سبقت شهرتها في المجتمع الإماراتي، كناشطة اجتماعية، ورئيسة للمؤتمر العالمي للمرأة الذي يقام سنوياً بتكليف من حكومة دبي.

هذا الحوار الذي خصّت به «الأم»، كان مناسبة لوضع الإصبع على الجرح، وتحديد أبرز الآفات الاجتماعية الحساسة المتعلقة بتربية الأولاد.

سوء استخدام اليسر المالي وراءه، ودور الأمّ أساسي

غياب دور الأب وراء انحراف 50% من الأولاد!

إنجازات الباحثة الاجتماعية إيمان إسماعيل عبد الله سبقت شهرتها في المجتمع الإماراتي، كناشطة اجتماعية، ورئيسة للمؤتمر العالمي للمرأة الذي يقام سنوياً بتكليف من حكومة دبي.
هذا الحوار الذي خصّت به «الأم»، كان مناسبة لوضع الإصبع على الجرح، وتحديد أبرز الآفات الاجتماعية الحساسة المتعلقة بتربية الأولاد.

في البداية، ومن خبرتك كأمّ لأسرة كبيرة، وكناشطة اجتماعية، ما الأصعب: شؤون التربية في الطفولة، أم في المراهقة؟

لم تكن تربية الأولاد مهمة سهلة يوماً، بل لكل مرحلة شجونها ومحاذيرها، مهما تغيّرت الظروف وتبدّلت المجتمعات. والتربية هي مسؤولية الأمّ والأب، على حدّ سواء، وتستلزم الكثير من الوعي والتضحية. برأيي أن أصعب مراحل التربية، في الطفولة، بالإضافة إلى الاحتياجات اليومية والرعاية الصحية الاعتيادية للطفل، هي عجزه عن شرح ما يحصل معه، أو التعبير بوضوح عن انزعاجه، ما يحتم على الأمّ مراقبته وحمايته، وخصوصاً إذا كانت عاملةً، وتترك طفلها بين أيدي الخادمة التي قد تلقّنه ثقافتها المختلفة وعاداتها ولغتها، في غياب الأمّ. أما أبرز صعوبات سنّ المراهقة، فهي أنها تتطلب الكثير من الجهد والصبر، لخرق صمت الأولاد في هذه الفترة، وكذلك إقناعهم بالأسس الحياتية السليمة، لأنهم، في هذا العمر، يتمتعون بالقدرة الذهنية والبدنية على المناقشة والاعتراض وتفسير الأمور بذكاء، من وجهة نظرهم الخاصة، كخطوة منهم باتجاه الاستقلالية الذاتية التي يسعون إليها.

كيف تابعت طفولة أولادك؟ وهل تفرّغت لهم بعيداً عن العمل؟

شاء القدر ألا أرزق أطفالاً إلا بعد 5 سنوات من زواجي، وقد حققت، في تلك الفترة، جزءاً لا بأس به من العمل وإثبات الذات، وكذلك السفر والتمتع بالحياة الزوجية، إلى أن رزقت ابني البكر، فقررت وزوجي أن أتفرّغ لتربية الأولاد. وكانت مرحلة بقائي مع أطفالي من أمتع فترات حياتي، حيث رافقت نموّهم منذ أول يوم في عمرهم، ولا أزال أذكر الكثير من مشاهد طفولة كلٍّ منهم.
كانت أجمل فترة في حياتي، بالرغم من حبّي للعمل الذي تابعته بعد دخول الأولاد إلى المدرسة، وما زلت أذكر كيف كانت أولى «مكاغاتهم»، أولى خطواتهم، الكلمات الأولى التي تلفظوا بها، وكذلك ميول كل منهم.

أخطاء يصعب تصحيحها

مرحلة المراهقة التي يعيشونها اليوم، كيف تتعاملين معها؟

الطفولة المشبعة بالاهتمام والعاطفة، لا شك في أنها تبني علاقةً متينة وعميقة مع الأمّ، باتجاه المراهقة، إذا ما عرفت كيف تحافظ على مودة أولادها لها. إنها مرحلة تتطلب جهداً وتوجيهاً دائمين، لأن النشوء على سلوكٍ خاطئ، في هذه المرحلة، قد يصعب تصحيحه لاحقاً. بالنسبة إليّ، عند بلوغهم العاشرة، يتحول أولادي تدريجاً إلى أصدقائي، البنات منهم والبنون، من طريق الإصغاء وكسب الثقة والحفاظ على أسرارهم. ولأني أعتبر الخصوصية في هذه المرحلة من أخطر الأمور التي يحاول المراهق اللجوء إليها، لتبرير انفراده بالقرارات، لا أتوانى عن اقتحام هذه الخصوصية، بالمودّة والانفتاح وتبادل الآراء في المشاكل التي تواجهنا، حتى إن التفاصيل البسيطة التي يمكن أن يسردها أولادي لي، تدلّني، بطريقة ما، إلى ما يدور حولهم، وإلى أسلوبهم في التعاطي معها. أكثر ما يزعج - في هذه المرحلة - ميل المراهق إلى حب التقليد، سواء المشاهير من النجوم أم للأصدقاء، لناحية المظهر وطريقة الكلام. أما بالنسبة إليهم، فيعانون أحياناً من غياب مفهوم الصداقة الحقيقية، حيث تختلط هذه مع تحقيق المصلحة والاستغلال، أحياناً.

ويحدث غالباً أن يُصدموا بتصرفات الأصدقاء، فيلومونني لأنني ربّيتهم على المثاليات، بينما الواقع مغاير لذلك، فأقول لهم «إبقوا كما أنتم، لأنكم الصح، واختياركم للصديق هو الخطأ».

هل توافقين الرأي القائل إن الحرية المعطاة للمراهق من غير حسيب، تدفعه أحياناً إلى التمرّد؟

بالطبع، إذا اعتاد المراهق الحرية المطلقة في تصرّفاته، من غير رقيب أو مساءلة، لا بدّ من أن يتمرد لاحقاً على أي ملاحظة يبديها الأهل، فيميل، تلقائياً، إلى سوء استخدام هذه الحرية، في الوقت الذي يحتاج، أكثر من أي وقت آخر، إلى المتابعة والتوجيه. فمن غير الجائز مثلاً أن يسهر حتى ساعة متأخرة من الليل، أو أن يصرف مخصصاته المالية من غير أن يتم سؤاله كيف استخدمها، أو أن يخرج مع أصدقاء لا يعرفهم الأهل، وكل ذلك تحت مظلّة «الحرية».

دور المدرسة والفضائيات

يعزو البعض ازدياد الآفات الاجتماعية إلى غياب دور المدرسة التوجيهي، وغزو الفضائيات.. ما رأيك؟

للمدرسة دورها التوجيهي الذي قلّما تتلمسه مقارنة بدورها التعليمي، كما للفضائيات سلبياتها الكثيرة. هذه الأمور تجعل دور الأهل ضرورةً ملحة أكثر من أي وقت مضى، لتقويم سلوك أولادهم بشكلٍ متواصل. برأيي إن الآفة الكبرى هي في افتقار قسم من الجيل الجديد في هذا المجتمع، إلى الرعاية الفعلية من الوالدين، أو أقلّه من أحدهما، وخصوصاً عندما تعمل الأمّ ضمن دوام طويل، وتترك أولادها مع الخادمة التي يجب أن ينحصر دورها بالتدبير المنزلي ليس إلّا! غير أن المشكلة ليست في وجود الخادمة، بل في اعتياد الأمّ على الاعتماد الكلّي على الخادمة، فتتنصّل من دورها، حتى أثناء وجودها في البيت.

عمل الأمّ سيف ذو حدّين، يكون مردوده المعنوي والمادي مفيداً لكل الأسرة، إذا لم تتخلّ عن دورها الحقيقي، فتحرص على تمضية وقت الفراغ مع أولادها، والاطلاع على شؤونهم الحياتية، بدلاً من تمضيته في التسوق، أو في الزيارات الاجتماعية، أو النوم بحجة التعب بعد الدوام! ولقد أظهرت إحصائيات حديثة أن الرعاية التي يتلقاها أولاد بعض الأمّهات العاملات من المجتمع الإماراتي أفضل بنسبة 70% من تلك التي يتلقاها أولاد غير العاملات، ممّن لا يؤدّين دورهنّ التوعوي حيال الأسرة.

على الأمّهات اليوم ألّا يضعن سوء تصرف الأولاد في خانة إهمال المجتمع، بل أن يسألنَ عن دورهنّ في هذا السياق. أذكر أنه، يوم كنت طالبة اختصاص الرعاية الأسرية، في بريطانيا، زارتنا الوزيرة «مارغريت تاتشر» للاطلاع على وضع الطلبة، فبادرتها إحدى الأمّهات بانتقاد الكلية على تقصيرها في ضبط سلوك الطلاب، لأنها كانت تعاني من سلوك ابنتها ومن الشكاوى بحقها، فسألتها «تاتشر»: «وأنت ماذا فعلت لتغيير سلوك ابنتك؟» فصمتت الأمّ، لأنها نادراً ما كانت ترى ابنتها، إذ كانت تعمل طوال النهار ممرضة، وتلتزم دواماً إضافياً، لكسب المزيد من المال. استطردت «تاتشر» قائلةً: «لولا أمّي لما كنت وزيرة.. فأنا ابنة بقّال»! وشرعت تخبرنا كيف كانت أمّها تتابعها وتحفزها على مواجهة الحياة.

غياب الأب

كناشطة اجتماعية في دولة الإمارات، ورئيسة العديد من المؤتمرات التوعوية للمرأة والأسرة، لسنوات عديدة، كيف تفسرين ظاهرة التفكك الأسري وازدياد عدد المنحرفين من الأحداث في المجتمع الإماراتي؟

لا شك في أن لانفتاح المجتمع الإماراتي على التطور إيجابياته الكثيرة، وفي طليعتها ازدياد نسبة الأمّهات المتعلمات. ثمة فئة من الأهل يعدّون مثاليين، وشريحة كبيرة أخرى أساءت استخدام اليسر المادي، حيث أصبح حافزاً للبحث عن المغريات الحياتية للأمّ أو للأب، أو لكليهما، خارج إطار الفائدة العائلية، وانصبّ اهتمام الأب على كيفية تطوير «إمبراطوريته» وإضافة مقتنياته، بينما أخذت الأمّ بشجون الموضة والزيارات الاجتماعية، وأصبحت أولوية اهتماماتها خارج نطاق الأولاد. في الأمس القريب، كانت الأسرة الإماراتية شديدة التماسك والانضباط، لأنها تميل إلى البساطة، وكانت الأمّ تعرف، بالفطرة، أن التضحية في سبيل الأولاد تأتي في المقام الأول. أما اليوم، فلا يرى العمّ ابن أخيه إلّا في المناسبات السنوية، لأن الكل يبحث عن المال! للأسف، أثبتت البحوث أخيراً أن نسبة الطلاق في المجتمع الإماراتي تناهز 49% من الزيجات، ونسبة الأحداث الموقوفين من الأبناء الإماراتيين في قضايا جرائم ومخالفات وسرقة ومخدرات تناهز الـ 50%. وتعود الأسباب إلى غياب الأب عن أبنائه وبناته، معنوياً ومادياً، حيث يكون كثير الأسفار، سعياً وراء أعماله، أو متعدد الزيجات، أو منفصلاً عن زوجته.

هالة الأشقرخوري

>>> كم من الآباء عندنا يعرفون عن خيولهم أكثر مما يعرفون عن أبنائهم؟!

>>> أبرز صعوبات سنّ المراهقة صمت الأولاد في هذه الفترة

>>> الرعاية التي يتلقاها أولاد بعض الأمّهات العاملات من المجتمع الإماراتي أفضل من تلك التي يتلقاها أولاد غير العاملات